الازدواجية اللغوية في الخطاب الروائي الجزائري
-ثلاثية أحلام مستغانمي- أنموذجا.

Bilingualism in the Algerian novelist discourse - the Ahlam Mosteghanemi- trilogy as a model

طالبة الدكتوراه/ عسول فاطمة
الأستاذ الدكتور / حمزة حماده

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الوادي (الجزائر)
مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده، جامعة الوادي.
assoul-fatma@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2023/10/01 تاريخ النشر: 2024/05/08 تاريخ القبول: 2024/09/15

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالازدواجية اللغوية بوصفها قضية من بين أهم القضايا المطروحة في الساحة النقدية، وكيفية توظيفها في الخطاب الروائي الجزائري، وتحديدا في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد؛ فوضى الحواس وعابر سرير) مع تقديم اضاءات نظرية عن الازدواجية اللغوية وكذلك ضبط بعض المصطلحات خاصة التي تتداخل في كثير من الأحيان مع مصطلح الازدواجية، لنتوصل في الختام إلى بيان مواطن توظيف هذه الازدواجية من خلال المزج بين ما هو عامي وفصيح في ثنايا كل رواية، انطلاقا من استحضار الروائية للموروث الشعبي من أمثال ومأكولات تقليدية وأغاني شعبية ذات طابع قسنطيني، هذه الأخيرة التي أوردتها أحلام مستغانمي على طبيعتها المعهودة والمتداولة، وكما هو متعارف عليها بالنسبة لنا كمجتمع جزائري.

الكلمات المفتاحية: الازدواجية اللغوية؛ الرواية الجزائرية؛ ذاكرة الجسد؛ فوضى الحواس؛ عابر سرير؛ أحلام مستغانمي

Abstract:

This study aims at defining bilingualism as one of the most important issues raised in the critical arena, and how to employ it in the

Algerian novelist discourse, specifically in Ahlam Mosteghanemi's trilogy (Memory of the Body; Chaos of the Senses and Bedridden) while providing theoretical illumination on bilingualism as well as adjusting some terms. Especially that often overlaps with the term of duality In conclusion, we reach a statement of the places where this duality is employed by mixing what is colloquial and eloquent in the folds of each novel, based on the novelist's evocation of the popular heritage such as proverbs, traditional foods, and folk songs of a Constantine character, the latter mentioned by Ahlam Mosteghanemi on her usual and circulating nature, and as It is familiar to us as an Algerian society.

***key words**:* bilingualism; the Algerian novel; body memory; chaos of the senses; bedridden; Ahlam Mosteghanemi.

مقدمة

تعد الرواية جنسا أدبيا بامتياز، تعالج العديد من القضايا على اختلاف مواضيعها سياسية كانت أو اجتماعية، تكون واقعية حينا وخيالية حينا آخر، وقد كتب في هذا الجنس الأدبي العديد من الكتاب منذ الأزل أي من خمسينيات القرن العشرين وكانت بدايتها باللغة الفرنسية بكونّها اللغة الرسمية آنذاك، وإذا استحضرنا أول نص روائي جزائري فإننا بطبيعة الحال نستحضر الروائية الجزائرية زهور ونيسي بروايتها الموسومة بـ (من يوميات مدرسة حرة) وكانت في أواخر السبعينيات ليعرف بعدها الإنتاج الروائي انفتاحا على المستوى الكمي والكيفي، أما في التسعينيات فقد صدرت العديد من الروايات وكان من بينها أعمال الروائية الجزائرية أحلام مستغانمي وسنخصص الحديث هنا على ثلاثيتها (ذاكرة الجسد؛ فوضى الحواس وعابر سرير) هذه الأخيرة التي مزجت فيها بين ما هو عامي وفصيح وجاءت كبطاقة تعريف للمجتمع الجزائري عامة والقسنطيني خاصة، فمن خلالها استطاع المتلقي العربي معرفة اللهجة المحلية الجزائرية وبها عرف عادات وتقاليد هذا المجتمع من أغاني شعبية ومأكولات تقليدية وكذلك بعضا من الأمثال والحكم التي جاءت بمثابة ملخص لتجربة حياتية عاشها أهلها، إن الروائية بهذا الصنيع استطاعت أن تروج للأدب الجزائري عامة والفصيح على وجه الخصوص ويمكن ادراج عملها هذا ضمن ما يعرف بالأدب السياحي.

ومن هنا نطرح الإشكالية الآتية: ما هي الازدواجية اللغوية؟ وكيف وظفتها الروائية الجزائرية أحلام مستغانمي في ثلاثيتها؟ وما الغرض من توظيفها؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج الوصفي والاحصائي بالاستناد إلى آليات التحليل والتركيب والتأويل.

1. تحديدات اصطلاحية:

تُعد اللغة نسق من الإشارات والرموز، من خلالها يعبر كل منا عن أفكاره وآماله، منها وبها تتم عملية التواصل بين الأفراد والمجتمعات، وتتنوع هذه اللغات باختلاف وتباين المجتمعات، وقد شهد الخطاب الروائي الجزائري ازدواجية لغوية تجلت في بعض أعمال الروائيين بغض النظر عن تنوع المواضيع هذه الأخيرة التي يزاوج فيها مبدعها بين لغتين فصحى وعامية، تتربع بين السطور لتؤدي وظيفة معينة، ويوظفها الكاتب لغرض معين كالترويج للغة المحلية على سبيل المثال أو التعريف بالعادات والتقاليد الخاصة بمنطقة معينة من خلال استحضار الأمثال والحكم؛ الأغاني الشعبية؛ اللباس وغيرها من العادات الأخرى.

أ- التعدد اللغوي

قَبل الحديث عن الازدواجية اللغوية وجب أولا الإشارة إلى مصطلح التعدد اللغوي، حيث يرى محمد الأوراغي بأنَّه "المقابل العربي للفظ الأجنبي Multililingusmie وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي، إذا كانت جميعها لغات عالمية كالألمانية والفرنسية والإيطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمية كالعربية بجانب لغات عامية"[1] أي اجتماع أكثر من لغة في مجتمع واحد كأنْ تجتمع اللغة العربية الفصحى مع اللغة العامية.

ب- اللغة الفصحى

ويعرفها محمد علي الخولي في كتابه الموسوم بـــ: مدخل إلى علم اللغة على أنَّها "لغة الأدب والعلم وهي لغة التعليم والمحاضرات في الجامعة، وهي خالية من الألفاظ العامية أو السوقية أو المبتذلة كما تراعي فيها الدقة في اختيار المفردات وأصول الصحة النحوية، وفي بعض اللغات تكون الفروق كبيرة بين العامية والفصيحة وفي بعضها تكون الفروق ضئيلة"[2] إنها لغة تُكتسب بالتَّعَلُّمِ وتخضع لقواعد الإعراب كما أنَّها لا تخصُ كل فئات المجتمع لأنَّها مرتبطة بالتعليم.

ت- اللغة العامية

أما عن اللغة العامية فيقول محمد علي خولي أنَّ "لكل لغة لهجة عامية بل لهجات عامية والعامية هي اللهجة الدارجة، أي اللغة اليومية. وهي لغة التخاطب في السوق والبيت. هي لغة التخاطب غير

الرسمي وتستخدم هذه اللهجة الجمل القصيرة والكلمات الشائعة والتراكيب السهلة وتقابلها اللهجة الفصيحة"[3].

أما فيما يخص أسبقية اللغة العامية عن الفصحى أو العكس فنجد مثلا" محمود أحمد السيد فالعامية عنده أقدم في حياة المجتمع العربي من الفصحى، ويبدو أنَّه يستند في هذا على حالة اللهجات العربية القديمة التي جاء القرآن الكريم فَوَحَدَهَا ...بيد أنّه لا يمكننا أن ننكر أنَّ العامية جزء من حياة مجتمعنا العربي في شتى أصقاعه... وهي أقدم في حياته من الفصحى"[4] إضافة إلى أحمد عبد الغفور عطار الذي يقر بأسبقية العامية من منطلق أنَّ "الفصحى لغة أقرب إلى التمام انتهت إليه بعد تدرج في مراحل التطور"[5] في حين نجد عائشة عبد الرحمان لم تشر في سياق حديثها عن الأسبقية لمن هل للغة العامية أم الفصحى؟ ولكن من خلال قولها الآتي نستنبط أنَّها تقر بأسبقية اللغة العامية حيث ترى أنَّ" العربية التي وصلت إلينا في تراث الجاهلية المعروفة لنا ...قد مرت في قدمها بمراحل تهذيب وصقل وتصفية وانتقاء حتى بلغت مستوى عاليا من دقة الدلالة واحكام الصياغة والتعبير"[6] إنَّ هذا التهذيب والصقل والتصفية والانتقاء ناتج عن عامية تطورت للفصحى.

ث- الازدواجية اللغوية

إن كلمة (ازدواجيه) تتأتى كترجمة "للاصطلاح الإنجليزي Diglossia، ويُعتقد أنَّ أولَ من تحدث عن هذه الظاهرة هو اللغوي الألماني **(كارل كرمباخر)** في كتابه المشهور **مشكلة اللغوية اليونانية الحديثة المكتوبة** عام 1902م إذ تطرق إلى طبيعة هذه الظاهرة وأصولها وتطورها، وأشار بشكل خاص إلى اليونانية والعربية، وخلص إلى نتائج يفسر كثيرا من التطورات المتأخرة لبعض الدعوات في العالم العربي"[7] حيث نجده في كتابه هذا يقترح على اليونانيين "تَرْكَ ازدواجيتهم الشرقية واللحاق بالعالم الغربي بتبني العامية لغة قومية، كذلك دعا العرب إلى تركِ فصيح لسانّهم وتبني احدى اللهجات -مفضلا المصرية- لغة قومية"[8]. وفي الآن نفسه نجد محمد راجي الزغول يشير إلى أنّ" الرأي العام المقبول في أدب هذه الظاهرة اللغوية هو أنَّ العالم الفرنسي **وليم مارسيه** أولَ من نحت هذا الاصطلاح بالفرنسيةLa Diglossie وعَرّفهُ في مقالة تخص الازدواجية في العربية عام 1930 بقوله: هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث "[9] أي بين لغة أدبية فصيحة وأخرى عامية، وبعد فترة من الزمن وبالتحديد في سنة "1959 وفي مقالة تعد من أشهر ما كُتب عن الموضوع -لأنَّه قلما تجد باحثا في الازدواجية لم يرجع إليها- قدم اللغوي الأمريكي **شارلز فيرجسون** هذا الاصطلاح إلى الإنجليزية اذْ بَحَثَ أربع حالات لغوية تتميز بهذه الظاهرة وهي العربية

واليونانية والألمانية السويسرية واللغة المهجنة في هايتي"[10] ويعرفها على أنَّها "وضع لغوي ثابت نسبيا يكون فيه هناك -علاوة على اللهجات الأولية للغة التي يمكن أن تحتوي لهجة قياسية أو لهجات قياسية إقليمية -ضرب لغوي غاية في التشعب والتركيب والتصنيف (وعادة ما يكون أكثر تعقيدا في قواعده)، يكون هو الأداة لنقل حجم كبير ومعتبر من التراث العلمي المكتوب، إما في فترة مبكرة أو في مجتمع لغوي آخر، وغالبا ما يُتعلَّم هذا الضرب بواسطة التعليم النظامي ويُستخدم في معظم الأغراض الكتابية والخطابية الرسمية، ولكنَّه لا يُستخدم بواسطة أي قطاع من قطاعات المجتمع في المحادثات المعتادة"[11] من خلال القول سالف الذكر نستنتج أنَّ الازدواجية اللغوية هي وجود مستويين للغة في مجتمع واحد، مستوى فصيح وآخر عامي وكل من هاذين المستويين يتم توظيفهما لأغراض معينة، أما السمات الخاصة بالازدواجية اللغوية حسب **شارلز فيرجسون** فتتمثل في "الوظيفية؛ الاعتبار؛ التراث الأدبي؛ الاكتساب؛ التقييس؛ الثبات؛ القواعد والمعجم ويفترض فيرجسون في أنموذجه أنَّه في مجموعة ما من المواقف يكون النوع الرفيع (ر) هو المناسب، على حين أنَّه في مجموعة آخري لا يكون مناسبا إلا النوع الوضيع (و)"[12] نجده هنا يقصد بالنوع المرتفع (اللغة الفصيحة) أما النوع الوضيع فيقصد به (اللغة العامية).

نجد **شارلز فيرجسون** في ختام مقالته " يدعو المختصين لدراسة هذه الظاهرة بشكل أوسع وقد تم ذلك بالفعل وخاصة بين علماء اجتماع اللغة، يقول **دل هايمر** اللغوي الاجتماعي الأمريكي تعليقا على مقالة فيرجسون أنَّ الازدواجية مثال ممتاز لتعايش نظامين غير متداخلي الفهم ويقصد هنا الفصحى والعامية وصعوبة فهم الفصحى على العوام وترابط كل من هذه الأنظمة بمفاهيم وقيم مختلفة، وكمثال لضرورة الرجوع إلى الجماعة المحلية للتحكيم لتجنب أي تحريف أو تشويه قد ينشأ بحالة الاتصال"[13] ذلك أنّ اللغة المحلية تساهم بشكل كبير في فهم اللغة الفصحى، وتقيها من سوء الفهم أثناء عملية الاتصال.

أما أ. **فيشمن Fishman** فقد انطلق "في تحديد مصطلح الازدواجية اللغوية من الأرضية التأسيسية التي وضعها (فرجسون-Ferguson) حيث نقح العالم (**فيشمن** -Joshua Fishman) التعريف الذي وضعه (فرجسون-Ferguson) وكانت له وجهة نظر مختلفة عنه حيث أنَه يرى أنَّ الازدواجية اللغوية ليست مقتصرة فقط على وجود لهجتين في المجتمع، إحداهما فصيحة والأخرى عامية، ولكنَّه يرى أنّ الازدواجية اللغوية تشمل اللهجات والأساليب المختلفة للهجة الواحدة وحتى اللغات المختلفة"[14] إنَّ تصور فيشمن للازدواجية اللغوية أشمل وأوسع مما ذهب إليه فرجسون فقد "قدم منظورا أوسع من منظور (فرجسون-Ferguson) حول مصطلح الازدواجية اللغوية

وحاول إدخال الثنائية اللغوية مع الازدواجية بأنَّ إطار الازدواجية قد تندرج ضمنه اللهجات واللغات، أي أنَّ الثنائية اللغوية هي قدرة الفرد على استخدام عدد من اللغات، أما الازدواجية فهي استخدام عدد من اللغات في مجتمع ما"[15] واضافة إلى كل من (**كارل كرمباخر**) و(**وليم مارسيه**) و(**شارلز فيرجسون**) و(**أ. فيشمن Fishman**) نجد (**قمبرز Gumperz**) و(**فاسولد Fasold**) ويمكن أن نختصر هذه الدراسات التي اتخذت من الازدواجية اللغوية موضوعا لها في الشكل الآتي المرتب زمنيا، هذا الأخير الذي أوردته منال محمد بلال فرج المرزوقي في رسالتها العلمية الموسومة بـــ (التعدد اللساني في المجتمع الامارتي دراسة اجتماعية تربوية).

كرومباشر Krumbacher نشر بحثه في 1902.	أول دراسة علمية لمصطلح الازدواجية اللغوية.
مارسي Marcais نشر بحثه في 1930	استخدم بشكل صريح مصطلح الازدواجية اللغوية.
فرجسون-Ferguson نشر بحثه في 1959.	تقليدي (شكل لغوي أعلى (فصحى)، شكل لغوي أدنى (عامية) أشكال لغوية من نفس اللغة (شكلان لغويان).
قمبرز Gumperz نشر بحثه في 1961	الازدواجية اللغوية موجودة في المجتمعات المتعددة اللغات والمتعددة اللهجات.
فيشمن Fishman نشر بحثه في 1967.	توسع في الظاهرة (ازدواجية لغوية وثنائية لغوية)
فاسولد Fasold نشر بحثه في 1984.	الشكل اللغوي المعياري واللهجات / العلاقة الثنائية/الترابط/ الوظيفة.

ج- الفرق بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوي

أشرنا سلفا إلى أنّ فيشمن في بحثه قد توسع في الازدواجية اللغوية إلى ثنائية لغوية، موضحا بذلك الفرق بينهما، ولا يخف علينا أنَّ المصطلحين -الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية- متقاربان

للحد الذي يصعُب التفريق بينهما حتى أنَّه يتخيل للقارئ أنهما مصطلحان لمفهوم واحد ومن هنا وجب التفريق بين مصطلحا "ازدواجية اللغة **Diglossia** وثنائية اللغة **Bilingualism** والترجمة الحرفية لهذين المصطلحين لا تبين أي اختلاف أو فرق بينهما، فازدواجية اللغة تتكون من كلمتين يونانيتين هما: (Di) ومعناها (اثنان)، و(Glossia) والتي تعني (لغة)، أما ثنائية اللغة فهي مكونة من مقطعين أو كلمتين لاتينيتين هما: (Bi) ومعناها (اثنان) و (Lingual) وتعني لغة، إذا هذان المصطلحان بالترجمة الحرفية يحملان نفس المعنى وهو لغتان، وبما أن هذين المصطلحين -وإن كانا يحملان نفس الاسم- فإنَّهما يدلان على شيئين مختلفين"[16] وقد سعى فيشمن في العديد من أعماله إلى التفريق بين هذين المصطلحين، وقد ورد هذا التفريق في موسوعة علوم اللغة لإميل بديع يعقوب في الجزء الأول وتحديدا في الصفحة 379.

2. الإزدواجية اللغوية في ثلاثية أحلام مستغانمي

لقد جاءت ثلاثية أحلام مستغانمي المتضمنة لكل من رواية (**ذاكرة الجسد؛ فوضى الحواس وعابر سرير**) متجاوزة للنمط السائد في الكتابة، من خلال جمعها بين العامية والفصحى، هذه الازدواجية أضفت بعدا دلاليا وجماليا للنص كما أنَّها أسهمت بشكل كبير في الترويج للغة المحلية (العامية الجزائرية) فكثيرا من القراء استطاعوا معرفة تلك اللهجة الجزائرية إلا بعد الاطلاع على روايات أحلام مستغانمي، وليس هذا فحسب، بل أنَّ عادات وتقاليد المجتمع الجزائري تُرجمت بأقلام كُتابها، وفي ثلاثية مستغانمي تَجَسد ذلك في الأمثال والأغاني الشعبية، وهنا سنسعى إلى بيان كيف وظفت أحلام مستغانمي تلك الازدواجية في ثلاثيتها وما الغرض منها؟ من خلال عرض بعض النماذج وأخيرا تقديم جدول إحصائي يوضح مواطن توظيف الروائية لهذه الازدواجية في كامل صفحات ثلاثيتها.

أ- الترويج للغة المحلية من خلال المزج بين العامي والفصيح في ثلاثية أحلام مستغانمي..

من قرأ لمستغانمي وتصفح ثنايا روايتها أولا بأول لا يخف عليه توظيف الروائية للغة العامية (الدارجة الجزائرية) ومزجها باللغة الفصحى، فهي تأخذ بالمتلقي من لغة الأدب والعلم (الفصحى) إلى لغة التخاطب اليومي في البيت والأسواق (العامية)، إنَّها بهذا الصنيع ترجمت اللغة المحلية للمجتمع الجزائري عامة والقسنطيني خاصة، لقد نقلتها كما هي ببساطتها وعفويتها وكما نتواصل بها في الحياة اليومية.

استحضرت الروائية في **ذاكرة الجسد** اللهجة العامية بكثرة نجدها تقول ".... تكاد ترتعش ذراعي الوحيدة وهي تقاوم رغبة جامحة لاحتضانك، وسؤالك **بلهجة قسنطينة** افتقدتها....

- **واشك** ...؟

- **آه واشك** ...أيَّتها الصغيرة التي كبرت في غفلة مني.."[17] هنا إشارة من الروائية ذاتها إلى اللهجة القسنطينة المتداولة في الحياة اليومية، وفي موضع آخر نجدها تقول:

- "ع السلامة يا سيدي ...عاش من شافك!

قالها وهو يحتضنني ويسلّم عليَّ بحرارة ..... وقبل أن أسأله عن أخباره قال وهو يقدم لي ذلك الصديق المشترك الذي كان يرافقه:

- شفت شكون جبتلك معايا؟

صِحْتُ وأنا أنتقل من دهشة إلى أخرى:

- أهلا سي مصطفى واش راك.... واش هاذ الطلة؟

قال بمودة وهو يحتضنني بدوره:

- واش آسيدي ... لو كان ما نجيوكش ما نشوفوكش وإلا كيفاش"[18] وفي موضع آخر تقول

- "عندك كاس ماء ...يعيشك؟"[19]

تواصل الروائية توظيف العامية في كل فصول الرواية، وها هي في الفصل الثالث تصور معاناة أم فقدت ابنها شهيدا من أجل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة، بحزن شديد تردد هذه الأم في وسط البيت وهي عارية الرأس، متجرعة مرارة الفقد قائلة "يا وخيذتي ... يا سوادي...آه الطاهر أحناني لمن خليتني .. نروح عليك أطراف"[20].

تقول أيضا:

" سبقتني (أمَّا الزهرة) إلى غرفة تطل على وسط الدار مردّدة:

- أقعد يا ولدي ... أقعد.. قالتها وهي تأخذ مني علبة الحلوى وتضعها على الصينّية النحاسية المستديرة والموضوعة على مائدة خشبية...

يعطيك الصحة يا وليدي.. وعلاش عييت روحك يا خالد يا بني.. وجهك يكفينا"[21].

في موضع أخر توظيف الروائية اللهجة الجزائرية وتقر بذلك قائلة:

"لا أنت لم توقظني.. أنت منعتني البارحة من النوم لا أكثر!

قلتِ بلهجة جزائرية بين المزاح والجدّ:

- علاش إن شاء الله خير.."[22]

نَطَلِعْ كذلك على رواية **فوضى الحواس**، ونجدها كسابقتها توظف الازدواجية اللغوية بشكل كبير ومُلفت للانتباه، تقول على سبيل المثال لا الحصر:

" ...انتبهت لعدم وجود السكر جواره، كما هي العادة، رفعت يدي لأناديه، لكنّني عدت فقد كان بعيدا، ولم أشأ أن أرفع صوتي لأقول كلاما تافها يا خويا ... يعيّشك.. جيبلي سكّريّة"[23] ثم تُصرح قائلة:

- "نحن ننتظر منذ نصف ساعة، عليك أن تولينا اهتماما خاصا إننا ضيوف لدى الرئاسة!

ولكنَّه ردَّ عليها بطريقة لا يتقنها غير الجزائريين.

- ما دمتِ ضيفة عند الرّئاسة ... روحي لعند بن جديد يسربيلك ومضى ليتركها مذهولة"[24].

تستمر عملية الحوار هنا لتجمع بين لهجتين إحداهما فصيحة والأخرى عامية، كقول الروائية على سبيل المثال:

"... ما إن فتحت لها الباب.. حتَّى أطلقت عليَّ وابل أسئلتها وهي تتأملني مذعورة كعادتها:

- واش بيك يا بنتي.. زيّك ما عجبنييش.."[25].

تقول أيضا:

- "راني جبت لك معاي شويَّة بسيسة حمَّصتها لك البارح دُرك ندير لك بيها صحن طمّينة.. غير تاكليها تولّي زي الحصان"[26].

كذلك رواية **عابر سرير** في فصولها الثمانية، لا تخلو من المزج بين اللهجتين العامية والفصيحة والمتصفح للرواية من فصلها الأول للثامن يلاحظ ذلك، ويمكن أن نستحضر هنا بعضا من الأمثلة على سبيل المثال قولها في الفصل الثالث:

"يا راجل واش بيك... يلعن بوها حياة واش راك تخمّم؟ شوف أنا ما على باليش بالدنيا ..."[27] أما في الفصل الخامس فتقول

"لكن مراد حسم تردّدي قائلا:

- كل شيء كاين يا سيدي غير ما تخممش!.

... قلت مغيرا الموضوع بطريقة مازحة:

- أنا هارب يا خويا من أدغال الوطن ... يرحم باباك ابعد عنّي اللّبات والأسود"[28] ومن الفصل السابع نستحضر قولها:

"وكان زميل لي، أمدّني بتلك الجريدة بالفرنسية، وقال ممازحا بلهجة أبناء العاصمة إتهلكت عليكم يا خو قسمطينة راحت، كاش نهار تقوموا تلقاو رواحكم قاع تحت"[29]

انطلاقا مما سبق ذكره، نلاحظ أنَّ الروائية الجزائرية أحلام مستغانمي قد استطاعت من خلال ثلاثيتها أن تروج للهجة المحلية الجزائرية بامتياز، من خلال توظيفها للهجة (الدارجة)، خاصة في الحوار الذي دار بين الشخصيات والذي مزجت فيه الروائية بين الفصحى والعامية، والجدول أدناه يبين مواطن الازدواجية اللغوية في الروايات الثلاثة.

الرواية	مواطن توظيف الازدواجية اللغوية

ذاكرة الجسد	ص11-12-45-66-72-79-80-85-107-112-113-114-137-142-155-228-231-305-306-309-310-329-339-340-341-345-349-351-352-353-354-356-357-358-359-361-367-368-369-378-388.
فوضى الحواس	ص 37-71-106-119-122-125-126-127-128-129-130-139-151-159-169-168-176-194-201-211-212-213-221-226-249-254-262-269-272-296-297-301-304-306-311.
عابر سرير	ص 86-69-73-78-99-100-104-108-112-127-133-135-203-205-206-230.

ب- توظيف الأمثال الشعبية في ثلاثية أحلام مستغانمي:

يُعد الأدب الشعبي مرآة كل أمة، إنَّه الحاضر الذي لا يغيب، حاضر نقل لنا خبرات إنسانية سابقة نابعة عن تجربة إنسانية معاشة في فترة من فترات الزمن الماضي، هذه التجارب التي نُقِلَتْ لنا في شكل أمثال وحكم؛ أغاني شعبية؛ حكايات وألغاز ونكت، أدبٌ صور عادات وتقاليد منطقة من مناطق الوطن، بها تُعرف وتتميز، وقد كان لكتابات أحلام مستغانمي نصيبها من هذا الموروث الشعبي، فقد وظفت في ثلاثيتها المثل الشعبي بكثرة هذا الأخير الذي يعد بمثابة "قول شعبي مأثور يمثل خلاصة تجارب حياتية ومحصلة خبرات إنسانية شعبية فردية أو جماعية، يتميز بإيجاز اللفظ وإصابة المعنى وجودة الكناية، وهو كالعملة ذات الوجهين، وجه يشتمل معنى ظاهر، وأخر يمثل وجه خفيا وهو المعنى المراد والمقصود وجه يحيل على الحادثة الأولى التي قيل فيها المثل لأول مرة (المورد) وآخر يحيل على الحادثة المشابهة للأولى، والتي يعاد فيها ضرب ذلك المثل (المضرب)"[30] فالمثل الشعبي ابن جماعة شعبية؛ يكون عامي اللهجة؛ شفوي وبسيط ويمتاز بسرعة الانتقال والتداول لسهولته و وقِصَر طوله يمثل خلاصة تجارب حياتية ومواقف من قضايا مختلفة.

نجدها تقول في رواية **(ذاكرة الجسد)**

"البلدي يفهم من الغمزة" ص79.

"الطير الحر ما ينحكمش وإذا انجكم...ما يتخبطش!" ص227.

"واحد عايش في الدنيا..وواحد يوانس فيه..!" ص310.

"يبقى زيتنا في دقيقنا" ص349.

أما في **(عابر سرير)** فتقول:

"وجه لخروف معروف" ص119.

"أصبحنا مثل الراس المشوشط ما فينا غير اللسان" ص122.

"جبت كَطّ يوانسني ولى يبرك في عينيه" ص127.

"خلطها تصفى" ص151.

"عاش ما كسب مات ما خلّى" ص176.

"وين تهرب يالّلى وراك الموت" ص201.

أما في (فوضى الحواس) فلا نكاد نعثر على أيًّا من الأمثال الشعبية.

ت- استحضار الأغاني الشعبية في ثلاثية أحلام مستغانمي:

تُعد الأغنية الشعبية بمثابة "قصائد شعرية شعبية، نشأت بين عامة الناس بلهجة عامية منذ أزمنة طويلة فهي شكل من أشكال الفنون والثقافة الشعبية، وموروث يتغنى بقيم الشعب ويصور واقعه، ويعكس هويته"[31] هذا الموروث بموضوعاته المتعددة استطاع أن يحفظ تاريخ أمة بأكملها وللأدب الجزائري نصيبا أوفرا من هذا الأدب، فالباحث في الأدب الشعبي يجد العديد من الأقلام الجزائرية التي كتبت ولازالت تكتب وتبحث فيه، وتوظفه كاستشهادات في العديد من كتاباتها، فها هي الروائية الجزائرية أحلام مستغانمي تستحضر العديد من الأغاني الشعبية في ثلاثيتها وقد كانت جميعها ذات طابع قسنطيني، حتى تُعرف القارئ بهذا الموروث الشعبي القسنطيني.

نجدها تقول في رواية **(ذاكرة الجسد):**

"يا التفّاحة ... يا التفّاحة ... خبّريني وعلاش الناس والعة بيك.." ص11.

"يا ديني ما أحلالي عرسُو.. بالعوادة..

الله لا يقطعلوا عادة..

وانخاف عليه.. خمسة والخميس عليه" ص354.

"كانوا سلاطين ووزاء ماتوا وقبلنا عزاهم

نالوا من المال كثرة لا عزهم.. لاغناهم

قالوا العرب قالوا ما نعطيو صالح ولا مالوا" ص356.

"صالح.. يا صالح وعينيك عجبوني" ص356.

وعلى وقع أشهر موسيقى لأغنية شعبية تقول

"إذا طاح الليل وين انباتو فوق فراش حرير ومخداتوا

ع اللّي ماتوا.... يا عين ما تبكيش ع اللّي ماتوا....

أمان...أمان.

خارجة من الحمّام بالريحة يا لندراش للغير وإلاّ ليّ....

أمان.. أمان." ص358.

"وقالوا العرب قالوا ما نعطيو صالح ولا مالو

قالوا العرب هيهات ما نعطيو صالح باي البايات " ص378.

أما في رواية **(عابر سرير)** فتقول

"أليف يا سلطاني والهجران كواني" ص129-130.

"باسم الله نبدى كلامـــــي قسمطينة هي غرامـــي

نتفـــكرك فـي منـــامـي إنتـــي والوالـــديـــن" ص130

"على السويقة نبكي وانّوح رحبة الصوف قلبي مجروح

باب الواد والقنطـــــرة رحت يا الزيـــن خســـارة" ص130-ص211.

"آآآه يا ظالمة.. وعليك انخلّي أولاد عرشي يتامى" ص272.

ث- ثلاثية أحلام مستغانمي -بطاقة تعريف- لعادات وتقاليد المجتمع القسنطيني.

لقد كان لثلاثية أحلام مستغانمي دورا كبيرا في التعريف بالعادات والتقاليد السائدة في المجتمع الجزائري عامة والقسنطيني خاصة، من خلال توظيفها للباس التقليدي ففي **ذاكرة الجسد** تستحضر (الحلي القسنطيني؛ الخلاخل؛ السفساري؛ المقياس؛ الفرقاني؛ الشاش؛ العجار؛ الريحية الخلخال والملاية) وبعض المأكولات التقليدية من قَبيل (كسرة الرخسيس؛ الطمينة؛ البراج) أما في **فوضى الحواس** فتستحضر الروائية بعضا من المأكولات التقليدية مثل (البسيسة والطمينة مُعرفة بهذه الأخيرة وبكيفية اعدادها) كما لا يفوتها أن تُشير إلى بعض العادات القديمة (كالزردة والوعدة) والتي لا تزال سائدة في بعض المجتمعات إلى يومنا هذا، كذلك رواية **عابر سرير** كان لها نصيبها من هذه العادات والتقاليد ومثال ذلك (البوزلوف؛ الفرقاني والخيالة).

خاتمة القول: ختاما لما سبق ذكره، نتوصل لجملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- الازدواجية اللغوية ضرب من الكتابة جمع بين اللهجة العامية والفصيحة.
- تُعد دراسة (كارل كرمباخر) أول دراسة علمية لمصطلح الازدواجية اللغوية، ثم تلته العديد من الأبحاث الأخرى لكل من (وليم مارسيه؛ شارل فيرجسون؛ فيشمن؛ قمبرز وفاسولد).
- مزجت الروائية الجزائرية أحلام مستغانمي في ثلاثيتها (ذاكرة الجسد؛ فوضى الحواس وعابر سرير) بين ما هو عامي وفصيح، ووظفت هذه الازدواجية في صور مختلفة (أمثال شعبية؛ أغاني شعبية ومأكولات تقليدية).

- استطاعت الروائية من خلال توظيفها لهذه الازدواجية أن تروج للهجة المحلية الجزائرية وأن تُعرف بعادات وتقاليد المجتمع القسنطيني والطابع الشعبي لهذه المنطقة.

- العامية والفصحى؛ الأمثال الشعبية؛ الأغاني الشعبية؛ سمات استطاعت أن تنتقل بالقارئ من لغة الأدب والعلم إلى لغة الحياة اليومية المعتادة، وبهذا الصنيع كسرت حاجز الملل عنده وزادت من رغبة القراءة لديه.

- ثلاثية أحلام مستغانمي يمكن إدراجها ضمن ما يُعرف بالأدب السياحي، فالروايات الثلاثة كانت بمثابة ترجمان لحياة وواقع جزائري بحت.

الهوامش:

[1] زعلاش ليندة، قجة رضا: (2023)، إشكالية الازدواج اللغوي وانعكاساتها على الثقافة العربية، مجلة افاق للعلوم، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلد08، العدد01، ص305-304.

[2] محمد علي الخولي: (1993)، مدخل إلى عِلم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، ص167-168.

[3] المرجع نفسه، ص167

[4] عبد الرحمان بن محمد القعود: (1997)، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، ط1، ص19-20.

[5] المرجع نفسه، ص20.

[6] المرجع نفسه، ص21.

[7] محمد راجي الزغول: (1985)، ازدواجية اللغة نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، المورد، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، المجلد 14، العدد02، ص18.

[8] المرجع نفسه، ص18.

[9] المرجع نفسه، ص18.

[10] المرجع نفسه، ص18-19.

[11] محمد عفيف الدين دمياطي: (2017)، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، مالنج-جاوى الشرقية-إندونيسيا، ط2، ص72.

[12] المرجع نفسه، ص73.

[13] محمد راجي الزغول: ازدواجية اللغة نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، مرجع سابق، ص19-20.

[14] منال محمد بلال فرج المرزوقي: (2015)، التعدد اللساني في المجتمع الإماراتي دراسة اجتماعية تربوية، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، الامارات، ط1، ص20-21.

[15] المرجع نفسه، ص21.

[16] إبراهيم صالح الفلاي: (1996)، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، ط1، ص81

[17] أحلام مستغانمي: (2000)، ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط5، ص66.

[18] المصدر نفسه، ص50.

[19] المصدر نفسه، ص85.

[20] المصدر نفسه، ص107.

[21] المصدر نفسه، ص 113.

[22] المصدر نفسه، ص137.

[23] أحلام مستغانمي: (2011)، رواية فوضى الحواس، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط21، ص68.

[24] المصدر نفسه، ص69.

[25] المصدر نفسه، ص99.

[26] المصدر نفسه، ص100.

[27] أحلام مستغانمي: (2003)، عابر سرير، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت، لبنان، ط2، ص71.

[28] المصدر نفسه، ص120.

[29] المصدر نفسه، ص254.

[30] صبرينة بوقفة، خولة عبسي: (2022)، الموروث الشعبي التبسي بين الأصالة والابداع، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج-الجزائر، د.ط، ص28.

[31] فتيحة قشيش: (2022)، الأغنية الشعبية والشعر الملحون مصدرا لكتابة تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، جامعة حسيبة بن بوعلي شلف، المجلد 07، العدد 01، ص98.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1. أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط5، 2000.
2. أحلام مستغانمي: رواية فوضى الحواس، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط21، 2001.
3. أحلام مستغانمي: عابر سرير، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت، لبنان، ط2، 2003.

المراجع

1. إبراهيم صالح الفلاي: ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، ط1، 1996.
2. اميل بديع يعقوب: موسوعة علوم اللغة العربية، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2006.
3. زعلاش ليندة، قجة رضا: إشكالية الازدواج اللغوي وانعكاساتها على الثقافة العربية، مجلة افاق للعلوم، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلد08، العدد01، 2023.
4. صبرينة بوقفة، خولة عبسي: الموروث الشعبي التبسي بين الأصالة والابداع، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج-الجزائر، د.ط، 2022.
5. عبد الرحمان بن محمد القعود: الازدواج اللغوي في اللغة العربية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، ط1، 1997.
6. فتيحة قشيش: الأغنية الشعبية والشعر الملحون مصدرا لكتابة تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية، مجلة درايات في التنمية والمجتمع، المجلد 07، العدد 01، 2022.
7. محمد راجي الزغول: ازدواجية اللغة نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، المورد، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، المجلد 14، العدد02، 1985.
8. محمد عفيف الدين دمياطي: مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، مالنج-جاوي الشرقية-إندونيسيا، ط2، 2017.
9. محمد علي الخولي: مدخل إلى عِلم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 1993.
10. منال محمد بلال فرج المرزوقي: التعدد اللساني في المجتمع الإماراتي دراسة اجتماعية تربوية، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، الامارات، ط1، 2015.